تعالى

فيما بين الجمهور واشير اليها في اكثر من ثمانين موضعا من كتاب الله تعالى كقوله
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر
بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وبث
فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم
يعقلون وكقوله تعالى ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر وكقوله تعالى
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وكقوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين وكقوله تعالى
ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم الى غير ذلك من مواضع
الارشاد الى الاستدلال بالعالم الاعلى من الافلاك والكواكب وحركاتها واوضاعها والعوالم
المتعلقة بها وبالعالم الاسفل من طبقات العناصر وغرايب امتزاجاتها والاثار العلوية
والسفلية واحوال المعادن والنباتات والحيوانات سيما الانسان وما اودع بدنه
مما يشهد به علم التشريح وروحه مما ذكر في علم النفس ومبنى الحجة على ان افتقار
الممكن الى الموجد والحادث الى المحدث ضروري يشهد به الفطرة وان فاعل العجايب
والغرايب على الوجه الاوفق الاصلح لا يكون الا قادرا حكيما فان قيل سلمنا ذلك
لكن لم لا يجوز ان يكون ذلك الصانع جوهرا روحانيا من جملة الممكنات دون
الواجب تعالى وتقدس والجواب من وجوه الاول انه يعلم بالحدس والتخمين
ان الصانع لمثل هذا لا يكون الا غنيا مطلقا يفتقر اليه كل شيء ولا يفتقر هو الى شيء
بل يكون وجوده لذاته فيكون الدليل من الاقناعيات والاستكثار منها كثيرا ما يؤدي
الى القطع بحيث يفضي الى اليقين الثاني ان ذهن العاقل ينساق الى ان هذا الصانع
ان كان هو الواجب الخالق فذاك وان كان مخلوقا فخالقه اولى بان يكون قادرا
حكيما ولا يذهب ذلك الى غير النهاية لظهور بعض ادلة بطلان التسلسل فيكون المنتهى
الى الواجب تعالى ولهذا صرح في كثير من المواضع بان تلك الايات انما هي لقوم
يعقلون الثالث ان المقصود بالارشاد الى هذه الاستدلالات تنبيه من لم يعترف
بوجود صانع يكون منه المبدا واليه المنتهى وله الامر والنهي وكونه ملجا عند
انقطاع الرجا عن المخلوقات مذكور في بعض المواضع من التنزيل كقوله تعالى
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وكقوله تعالى امن يجيب المضطر
اذا دعاه وكقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
الى غير ذلك تنبيها على انه مع ثبوته بالادلة القطعية والوجوه الاقناعية مشهود
يعترف به الجمهور من الموفقين بالنبوة وغيرهم اما بحسب الفطرة او بحسب التنبيه المهتدي
اليه بالاستدلالات الخفية على ما نقل عن الاعرابي انه قال البعرة تدل على البعير
واثار الاقدام على المسير افسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج لا تدل على اللطيف الخبير
لطيفة خالفت الملاحدة في وجود الصانع لا بمعنى انه لا صانع للعالم بل بمعنى

انه

والعدم

انه ليس بموجود ولا معدوم بل بواسطه بمعنى انه مبدع لجميع المتقابلات من الوجود
والوحدة والكثرة والوجوب والامكان فهو متعال عن ان يتصف بشيء منها فلا يقال 84
له موجود ولا واحد ولا واجب مبالغة في التنزيه ولا خفاء في انه هذيان بين البطلان
قاله السعد ومن قوله خالفت الملاحدة تعلم ما قاله المحشي السابق فتدبر
ولما فرغ من العشر الاول من اقسام الصفات شرع في العشر الثاني مقدما
منه القدم لابتناء ما بعده عليه ثم ان لفظ القدم في اللسان العربي يطلق باعتبارين
احدهما بتوالي الازمنة على الموجود الذي كر عليه الملوان وتعاقب عليه الجديدان
الليل والنهار كما في قوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم وبهذا الاعتبار يقال اساس قديم وبناء قديم ولا خفاء في استحالة هذا
المعنى عليه تعالى لانه من صفات المحدثات ضرورة ان الزمان اما عبارة
عن مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم ازالة للابهام اي من الاول بمقارنته
للثاني كما في اتيك عند طلوع الشمس وهذا هو مختار المتكلمين فيكون نوع وجود
حادث يعتبر في الوجود لكونه نسبة بينهما والنسبة متاخرة وجودها عن وجود
المنتسبين والمتاخر عن الحادث حادث واما عبارة عن حركة الفلك وما يرجع
اليها من الساعات واجزائها فان الليل عبارة عن حركة الشمس تحت الافق
والنهار عبارة عن حركتها فوقه فقط كذلك وذلك في الحقيقة عبارة عن سير الفلك
الاعظم بها تحت الافق او فوقه على ما تزعم الفلاسفة والساعة عبارة عن سير
ذلك المعدل خمس عشرة درجة اي خمسة عشر جزءا من ثلاثمائة وستين جزءا
متساوية قسموا اليها سير الفلك اصطلاحا ولا شك في انعدام الزمان بهذا المعنى
ايضا في الازل اذ لا فلك فيه ولا حركة لما مر من حدوث كل ما سواه عز وجل وكل
ما لم يكن في الازل فهو حادث هذا على القول بوجوديته واما على القول بجوهريته
فعلى القول بتجرده وانه جوهر ليس بجسم ولا جسماني اي ليس غير مركب ولا حال
في مركب بل هو قائم بنفسه مجرد عن المادة فهو غير ثابت على اصلنا على انك
تحققت حدوث العالم بجميع اجزائه جواهر كانت او غيرها وعلى القول بانه
فلك معدل النهار اي الجسم الذي سميت دائرته اي منطقة البروج منه بمعدل
النهار لتعادل الليل والنهار في جميع البقاع عند كون الشمس عليها فالافلاك
بجميع موادها واعراضها حادثة عندنا كما مر بيانه فاحاطت به وسبقت في
وقوعها كذلك وثانيهما الكون في الازل بمعنى سلب العدم السابق على الوجود
او لا اولية له او افتتاح الوجود وهو بهذا المعنى خاص به تعالى وبصفاته وكان
بلغ عند اطلاقه في المباحث الكلامية منصرفا اليه قال عطفا على الوجود والقدم اي
وواجب له تعالى القدم بمعنى انه يجب له تعالى ان يكون وجوده غير مسبوق بعدم

Copyright © King Saud University